

الاتواصل وبنية العقل العربي : محاولة فهم وفق رؤى انثروبولوجية

Non-communication and the structure of the Arab mind: an attempt to understand according to an anthropological narrative

تاريخ النشر: 2024/10/31

تاريخ القبول: 2024/10/18

تاريخ الإرسال: 2024/05/10

حمادي هجيرة¹

EMAIL : hammadihadjira@gmail.com ، جامعة سطيف 2 ، الجزائر ،¹

الملخص:

تسعي هذه الورقة العلمية عبر مقارنة متعددة التخصصات الى طرح جملة من الإشكاليات المرتبطة بظاهرة الاتواصل كمتاهة تغرق فيها المجتمعات العربية من منظور انثروبولوجي، بتطبيق منهج الفهم الفيبري، لمساءلة تجلياتها، كالانغلاق على الذات و تغييب الغيرية، والاتصال في إطار فكر الجماعة، الى غيرها من الاختلالات التي تسكن مستويات التواصل في العالم العربي ، وذلك إنطلاقا من إفتراض مدرسة بالوا لتوا Alton Palol حول كون الإنسان لا يمكن أن لا يتواصل من جهة ، وانتشار رؤى نقدية حول الايدولوجيا التقنية ومساهمتها في تعميق إشكالية الاتواصل.

و بالنظر لبنية العقل العربي التي يمدنا بها التراث الفكري لعدد من المفكرين كمحمد أركون والجابري وجورج طرابلشي وعبد الله حمودي من جهة أخرى ، من أنها بنية ماضوية وتقوم على أحادية الفكر ومحاربة الاجتهاد، و التوقع على الذات في طرح القضايا الملحة ، بدليل الصراعات التي لا ترقى إلى نقاشات أثناء طرح المواضيع ، والحجر على ما يكتبه بعض المفكرين وحدة رفض الاختلاف ، والعيش في جدران اللافهم ، و العدميات التي تنحو الى محو الآخر ، وبروز الانغلاق الهوياتي، وغياب التعايش السلمي داخل المجتمع الواحد ،ناهيك عن التفكير العدمي .

الكلمات المفتاحية: العقل العربي ، الهوية الثقافية، الاتواصل ، الممارسات الاجتماعية ، انثروبولوجيا الاتواصل

المؤلف المرسل: حمادي هجيرة ، الإيميل: hammadihadjira@gmail.com

Abstract:

This scientific paper employs a multidisciplinary approach to address various issues linked to the phenomenon of non-communication, considered a labyrinth engulfing Arab societies from an anthropological perspective. By adopting the Weber understanding method, it seeks to scrutinize its manifestations, such as self-isolation, the neglect of alterity, and communication within the realm of groupthink, among other dysfunctions affecting both the individual and the societal practices in the Arab domain. Grounded on the premise of the Palo Alto school that it is impossible not to communicate, and considering the proliferation of critical views on technological ideology's role in exacerbating the non-communication issue, this paper examines the structure of the Arab mind. Drawing insights from the intellectual heritage of thinkers like Mohammed Arkoun, al-Jabri, George Tarabishi, and Abdullah Hamoudi, it suggests that this mindset is predicated on monotheism, resistance to Ijtihad (independent reasoning), and a tendency towards homogeneity in addressing pressing issues. This orientation fosters a rejection of dissent, living within walls of misunderstanding, and nihilistic tendencies that veer towards obliterating 'the other'. Such dynamics foster identity insularity, hinder peaceful coexistence within the same society and pervade the communication process across all levels in the Arab world

Keywords Arab mind, cultural identity, non-communication, social practices, anthropology of non-communication

مقدمة:

يعد الاتواصل *incommunication* من الموضوعات حديثة الطرح في التراث النظري والأكاديمي بل وفي الخطاب السياسي والإعلامي ، إذ يعود إلى مطلع الألفية الحالية أين أخذ المفهوم معناه الحالي في النصف الثاني من القرن 20 في مجال تفكير علم النفس وعلوم اللغة أساسا، ليتحول إلى انشغال أساسي في العلوم الاجتماعية والإنسانية ككل بعد الانفجار الهائل في أدوات الاتصال التقنية ، وكرد فعل لإنتشار بؤر التوتر والحروب



والأزمات في العالم ، حيث تم استدعاء المفهوم إما لحلها او لتميع النقاش حول حلول لها .

منهجيا يعد اللاتواصل l'incommunication من الموضوعات التي تبني عبر تفكيك المفهوم وإعادة تشكيكه انطلاقا من تناول نقدي يتجاوز البديهي والمألوف ، ليأخذ أبعاد المفهوم الواقعية النفسية والاجتماعية ، والثقافية والإعلامية ما يستدعي عند تناوله مقارنة متجاسرة للتخصصات ، من هذا المنطلق فان هذا المفهوم ليس موضوعا للكم وإنما للتأويلية ، إذ تتنازعه في التراث النظري رؤيتان أحدها أنثروبولوجية بامتياز ، والأخرى تقنية محضة ، كما أنه من الناحية الأكاديمية الصرفة موضوع للتمثيلات بامتياز .

على المستوى الامبريقي ارتبط الحديث عن المفهوم بالأزمات التي اخذت ابعاد غير مسبوقة في العصر الحديث ، دولية ومحلية ، عابرة للأوطان والقوميات ، وكذا أشكال مختلفة كالحروب المحلية والإقليمية ، ناهيك عن ارتباطها بسلسلة من المخاطر المستجدة كالتحديات الايكولوجية والنووية والفيروسات والأمراض والتي صاحبها أزمات اتصالية كثيرة كالتوجس ورفض الآخر والرغبة في السيطرة عليه ، وكل أشكال الهيمنة الحديثة الثقافية والاقتصادية ، يحاول المفكرون والباحثون رصد أشكالها وتطورها وتجلياتها الخفية والكامنة ، على غرار الأزمات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها المجتمعات العربية ، والتي سنحاول تشخيص تجليات اللاتواصل l'incommunication فيها في علاقته ببنية العقل العربي.

الاشكالية :

الملاحظ أن التدفق المتواصل للمعلومات والأفكار عبر وسائل الاتصال الحديثة غير المحدودة التي ربطت الشمال بالجنوب والشرق بالغرب لم تساهم في زيادة الفهم بين البشر ، فبؤر التوتر والصدام في تزايد ، نتيجة غياب التواصل وعدم الرغبة في الاستماع ، ومعرفة الآخر كأساليب لحل الخلافات بين الأطراف المتنازعة ، رغم وجود الأرضية المشتركة التي هي الإنسانية ، لقد وصلت الأوضاع اليوم الى العنف والحروب وانتشار الحركات الحقوقية الراديكالية نتيجة اللاتواصل l'acomunication المرتبط باختفاء المراجع المشتركة والمفردات ، ماجعلت البشرية تواجه اليوم تواصلاً متطرفاً، يغذيه

الرغبة إما في السيطرة على الآخر أو إنكاره، تختبره يومياً على المستوى الشخصي والمجتمعي.

وان تم استدعاء التقنية للعودة للحالة العادية للاتواصل " حيث يمكن للجميع بفضل الوجود الشامل للتكنولوجيا أن يفهموا بعضهم البعض. (Dominique WOLTON، 2009، p 147) فانه واقعيًا تحطمت أحلام القرية الكونية تحت وطأة الأيديولوجيا التقنية ، والنتيجة نحن نبتعد يومياً تمامًا عن قواعد الاتصال، مثلما يقول دومنيك ولتون كقيمة فلسفية وسياسية عظيمة لمفهوم الديمقراطية .

فغياب الحوار والاتصال حول القيم والأفكار ووجهات النظر المختلفة يقود البشرية اليوم إلى مزيد من الفوضى والتطرف والصمت المطبق على الشعوب يقول دومنيك وولتون: " لعدة قرون، كان للاتواصل l'incommunication عاملًا مباشرًا في الحرب والصراع، كنا نقتل بعضنا البعض عندما لم نفهم بعضنا البعض، واليوم نحاول أن نعيش معًا.

يزداد هذا الإشكال تأزماً في العالم العربي ، حيث لم تتمكن هذه الوسائل من تفكيك العقل العربي وتغيير منهج تفكيره، بل زادت كل تلك المنظومة الجديدة من الوصلات المعرفية إصراراً على بناء جداره المتوحد مع ذاته، فالمتتبع لواقع المجتمعات العربية اليوم يلاحظ و يستشف ان النسق التقليدي الاجتماعي جاثم على بنية التفكير وسلوكات الأفراد والجماعات ، فما يمكن ان نسميه نسق ثقافي عربي الذي يؤطر بنية الفكر العربي غارق في الماضوية، وتغييب التفكير العقلاني وإنتاج خطاب انغلاقية ايديولوجي قائم على ترويج اليقينيّات ، التي تعيق الفعل التواصلية العقلانية و التأسيس لشروط التحول والاجتماعي والسياسي في عالم يتغير بسرعة كبيرة تضاهي سرعة تطور التكنولوجيات الحديثة للاعلام والاتصال .

في هذا السياق يسعى المقال لمناقشة تجلياتالاتواصل l'incommunication بمستوياته المختلفة في المجتمعات العربية في علاقتها ببنية العقل العربي انطلاقاً من تحليل عابر للتخصصات انثروبولوجي نفسي اجتماعي ،عبر طرح التساؤل الرئيسي التالي :
كيف تطرح ثنائية للاتواصل والعقل العربي في المجتمعات العربية ؟
للإجابة على هذا التساؤل نستأنس بالتساؤلات الفرعية التالية :

ماهي الأطروحات الفلسفية المؤسسة لمفهوم اللاتواصل ؟

1. هل الفرد العربي اليوم يتواصل أم انه يركح تحت تأثير الجهل المؤسس والمقدس المهيكل لبنيته العقلية ؟

2. كيف يمكن لمجتمع ما أن يطور تواصله في ظل رفض النخب العارفة لمواكبة الحداثة و الانكفاء والانغلاق على الذات ، في مفارقة مفادها التطلع للحداثة ورفض من وما يكتب حولها في أن واحد ؟

3. ماهي آليات إنتاج اللاتواصل في العالم العربي ؟

منهج وأدوات الدراسة :

يؤكد الباحث الفرنسي دومينيك وولتون في العديد من أعماله حول اللاتواصل l'incommunication الى الحاجة لنهج او براديفم متعدد وعابر للتخصصات لدراسة هذا المفهوم Dominique Wolton ، 2013 ص 161-181 .) ، والذي يسميه ادغار موران بالتفكير المركب كظاهرة عابرة للتخصصات يتداخل فيها السياسي والثقافي بالانثروبولوجي في رسم ملامحها ، ولأن موضوعنا هذا يحتاج الى جهد لقراءة الواقع وتحليله وتفسيره وتأويله ، فإن منهج الفهم والتأويل الفيبري أنسب لفهم الأفعال الإنسانية وتأويلها ، أي لفهم ظاهرة اللاتواصل l'incommunication في علاقتها ببنية العقل العرب، إضافة الى مقارنة الممارسات الاجتماعية التي تنظر إلى الترابط بين الممارسات، التي يجب النظر اليها في السياق الذي تجري فيه، أي الاهتمام بفعل اللاتواصل l'incommunication ضمن الممارسة الاجتماعية ككل.

اولا : اللاتواصل بين الطرح الانثروبولوجي والتقني

ماذا نعني باللاتواصل l'incommunication ؟ الجواب ليس هينا فالتراث النظري حول الموضوع يطلعنا بان المفهوم يتم استعماله لوصف شكل العلاقة بين عنصرين أيا كانت طبيعتهما آلة، إنسان ، منظمة سواء أخذت - العلاقة - شكل سوء فهم، محتوى ساذج ،

أو قطيعة أو عزلة ، غياب البدهة¹ ، ليأخذ معناه الكامل في العلاقات الإنسانية في القرن 20 . بعد تزايد المخاوف من تأثيرات الارتفاع الهائل في أدوات الاتصال التقنية. وبداية من منتصف القرن 20 بات المفهوم رهين الأزمات بأنواعها التي عاشها العالم ، بداية بالمقال الذي نشره ريمون بودون" في مجلة هيرميس ، حول سسيولوجيا اللاتواصل الذي يعد بداية ربط للمفهوم بالثقافة ، أين أثار الباحث أزمة الثقافة التي تجعل أي محاولة لإقامة علاقة غير فعالة inopérante - وبعبارة أخرى، التواصل - بين الوكلاء الذين ليس لديهم نفس المراجع الثقافية.

ليأخذ المفهوم معنى سياسي ، في مقال للباحث ادوارد جالانو في جريدة لومون ديوماتييك عبر فيه إنتقاد أداء وسائل الإعلام في العصر الرقمي التي باتت تخدم اللاتواصل الإنساني ، بفرضها تبني قيم المجتمعات الليبرالية ، وعدم إحترامها لحرية الاختيار في التواصل بالشعوب التي باتت تحت سيطرة أوليغارشيا إعلامية محدودة الملكية – (ادوارد جالانو، 1996 ، ص 16) وقبلها هوسمان (Huisman, Denis, 1985 . ص54 الذي انتقد باستعمال المفهوم تجاوزات الاتصال في الفضاء العمومي في مقال بعنوان نحو مجتمع اللاتواصل ، انتهاء بالقضايا البيئية في القرن 21 و أزمة كورونا والقضايا الصحية التي قال عنها أندريه أكون (2002) بأن وسائل الإعلام لم تعد السبب فيها، ولكنها باتت من أعراض اللاتواصل الأنطولوجي.

¹حسب التعريف الذي قدمه المركز الوطني للموارد النصية والمعجمية (CNRTL)، اللاتواصل هو "غياب الاتصال، غياب العلاقة بين شيئين". ورغم ان الكلمة هي قليلة الاستخدام سابقاً لكنها كانت موجودة على الأقل منذ القرن 18 كمرادف للعزلة؛ أخذت معناها الحالي في النصف الثاني من القرن 20. إذا تم استخدام المصطلح لوصف العلاقات بين الآلات (على سبيل المثال، عندما لا تستجيب الطابعة للكمبيوتر)، في العالم الناطق بالفرنسية، يبدو أن اللاتواصل قد أعيدت إلى دائرة الضوء من قبل دينيس هويسمان (Huisman ، 1985) عند حديثه عن غزو الرسائل والتكنولوجيا في مجال التعليم، الذي استنكر بعد ذلك اشكال التواصل التي تغزو كل الفضاء العام، انتهى به الأمر إلى التحول إلى نقيضه، أي الى اللاتواصل.

أما من الناحية الاستمولوجية فيتنازع المفهوم رؤيتان متعارضتان antagonist لكن متكاملان أيضا ، الرؤية الأولى تنتهي الى علم النفس تجعل من التواصل القاعدة واللا تواصل مرض ، بينما الثانية انثروبولوجية، تجعل التواصل أساس العلاقات الإنسانية. وفي هذا فهي قطيعة عميقة مع النموذج السيراني الذي لقد غذى أبحاث الاتصالات منذ فترة طويلة. : ف"لا يمكننا عدم التواصل". مثلما تؤكد مدرسة بالو ألتو، إذ أن²الاتواصل هو أفق التواصل، لكنه مع ذلك ليس قيد اجتماعي مفروض على الجميع ،والا كان التفكير في التواصل باعتباره المدينة الفاضلة.

فالقاعدة ليست أن نفهم بعضنا البعض تماما ، لأننا في الواقع نفهم بعضنا بما يكفي لتكوين المجتمع. ولا مجتمع يوجد دون التواصل. كذلك لن يكون هناك دين ولا عمل ولا علم دون الحد الأدنى من مشاركة المعنى. هذه المناقشة حول اللاتواصل نفسه لن يكون موجودًا بدون بعض التفاهم المتبادل، إذا لم نفهم بعضنا البعض، ما هو الهدف من الكتابة إذا كنا ننكر الفكرة ذاتها للاتصال"، ROBERT, Pascal ، 2005 p. 3-18 ؟ ولأن عملية اللاتواصل تنتهي الى عملية الاتصال، بل ان اللاتواصل

لا يدمر التواصل ولكن هو شرط وجودها.(لادغار موران ،2006 ص 12 ، فان اللا تواصل ايضا هو تجربة انثروبوجية قبل كل شيء لان الاتصال هو حقيقة في الواقع ونموذج ثقافي في حد ذاته وهو امر محسوم بالنسبة للانثروبولوجيين فان تتصل يعني ان تتبادل شيئا مع الآخر ،فلا يوحد حياة فردية ولا جماعية بدون اتصال ، وكل تجربة شخصية مجتمعية تقتضي تحديد لقواعد الاتصال ، فلايوحد مجتمع في غياب الاتصال(بوجمعة رضوان، 2004 ، ص 10).

²قام مجموعة من الجامعيين ذوي آفاق مختلفة كلاجئين في الولايات المتحدة الأمريكية اثرالحرب العالمية

الثانية، بتأسيس مدرسة Alto Palo ذات الأصول مع المقاربة النسقية. ويعتبر Gregory Bateson وهو عالم بيولوجي وأنثروبولوجي أب هذه المدرسة، وصاحب فكرة أن سلوك الفرد لا ينحدر فقط عن السياقات الضمن نفسية مثلما وصفه فرويد Freud ، وإنما أيضا عن عالقة هذا الفرد مع محيطه .

من ناحية أخرى فإن للبنى الثقافية دور مفصلي في فهم الاتصال والاتواصل حيث أكد الفيلسوف جون ديوي³ أن المجتمع لا يتشكل وجوده عبر التواصل وعبره فحسب ، بل يستمد وجوده في التواصل وفي الاتصال ، فهو الطريقة التي تتمكن عبرها المجتمعات من أن تجد أشياء مشتركة حتى تعيش سويا ، من هذا التطور نستنتج بأن أي ظاهرة اجتماعية تحدث في المجتمع بما في ذلك الاتصال والاتواصل يصعب فهمها خارج هذا السياق أي المجتمع ، وهذا السياق العام قد يكون اجتماعيا او نفسيا اقتصاديا او ثقافيا ، لذلك تشكل البنية الثقافية مجال اهتمام المختصين في الانثروبولوجيا العامة وفي الاتصال، وفي انثروبولوجيا الاتصال .

أن أي مجتمع ببنائه الثقافية والاجتماعية التي تعد أحد أشكال الاتصال أيضا تنتج مجموعة من القواعد والمعايير التي تحكم وتؤطر السلوك الاجتماعي ، والتي على ضوءها ينشأ ويستمر ويتواصل أو أنه يتعطل عن التواصل ، كما قد ينتج لا تواصل في الحياة اليومية من المضامين الكامنة في الرسالة الموجهة إلى الآخرين عندما لا تتطابق بالضرورة مع محتواها الواضح، فلا يقتصر الأمر على قيام المرسل ببناء الرسالة عن طريق تضمين جزء من لاوعيه بشكل غير واضح، ولكن المتلقي يفك رموزها ويصفها باستخدام لاوعيه. فالإدراك النهائي للرسالة يمكن أن يكون بعيداً عن النوايا الواعية للشخص الذي أرسلها. وبسبب هذا التعقيد، لا يحقق التواصل دائماً هدفه الواضح: فإما أن المرسل، في أعماقه، لا يلتزم بالرسالة الواعية التي يرسلها؛ إما عمداً يرغب في إبقاء المتلقي في حالة جهل أو تضليله من أجل الحصول على مزايا (مادية أو رمزية في إطار تبادل اجتماعي، عاطفي أو جنسي في علاقة حميمة؛ إما أن يرفض المتلقي إدراكها أو يحتفظ فقط بما يسير في اتجاه رغباته،

ويشرح عالم الاجتماع الأمريكي إرفينغ غوفمان المعنون بـ "عرض الذات في الحياة اليومية" والذي يقدم فيه نظريته المعروفة بالنظرية الدرامية لفهم الحياة الاجتماعية (Dramaturgy) هذا الخلل بأسهاب ، حيث يرى أنه عندما لا تحترم القواعد او عندما يظهر

انه لا توجد أي قاعدة قابلة للتطبيق ، يتوقف المشاركون أي الفاعلون الاجتماعيون عن معرفة كيفية التصرف ، او معرفة ما ينتظره الآخرون منهم فعلى المستوى الاجتماعي فان عملية ادماج نشاطات المشاركين تنشطر ونتاج ذلك يكون انتشار الفوضى الاجتماعية واللائظام الاجتماعي ، وفي الوقت ذاته يعاني المشاركون من الفوضوية والتوتر ومن التشويش الفردي (10p ، 2016 . Cara Brander)، كتجليات للانسداد وتعذر التواصل التي تتخذ أشكال عدة اليوم كانتشار الغزلة والإرهاب والعنف بكل أشكاله و بروز الحركات النسوية المتطرفة .

ان عدم الفهم كتجدر لسوء الفهم قد يكون ناتج عن عدم تطابق المضامين الكامنة في الرسائل الموجهة الى الآخرين مع محتواها الواضع وطغيان الإعلام على الاتصال ، في إشارة الى تعقد هذه طاهرة للاتواصل ، التي دفعت العديد من الباحثين لمحاولة تفسير سوء التفاهم هذا عبر معالجة صعوبات التواصل اليومي من عديد الزوايا ، لمحاولة اثبات ان الاتصال هو القاعدة وليس عدم الفهم من متطور انثروبوجي ، فبينما ارجعها نيكولا موينيه (2012). الى الغطرسة، سلط الباحث صموئيل ليباستيه (2013) الضوء على ثلاثة عوامل ذات أهمية : التعبير غير المنضبط في كثير من الأحيان عن عواطفنا، اللاوعي، وجود التقنيات التواصل المقنع ، التي هي محل خلاف ، ذهب باحثون آخرون الى تأكيد ان سيادة الاتصال ماهو الا مرد وعود لم تتحقق على ارض الواقع ، بل وحتى استحالاته. امثال سارتر، ومقولته الشهيرة "الجحيم" هو. الآخرون» والباحث، Debord (1967) واتهامه المجتمع المشهدي باغراق المجتمع في للاتواصل ، بودريار (1985) وإدانتة simulacrum للايقونة أو (Livet, P., 2011, p. 135-152.)، ان هذه الأفكار تذكر بسذاجة فكرة وجود قاعدة اجتماعية قوامها التبادل المشترك، لكنها بالمقابل تثبت بان التواصل ظل ممكنا، حتى لو لم يكن موجودا. وفي كثير من الأحيان، طور المؤلفون رؤيتهم التحليل النقدي باسم هذا الأفق المعياري الذي كان ينزلق باستمرار،

وكمحصلة لهذا الواقع يقترح دمينيك وولتون وباحثون آخرون التخلي عن الفهم كمعيار مثالي لتحقيق الاتصال ، بجعله حالة هامشية، حلم ميووس منه. فمن

خلال عكس القاعدة والهامش فإنها تسمح لنا بفهم أفضل لسبب عدم فهمنا لأنفسنا. ومن خلال القيام بذلك، ألا يسمحون لنا بفهم التواصل بشكل أفضل؟ وبين استحالة التواصل وطغيان اللاتواصل على التواصل استدعيت التكنولوجيا لحل مسألة اجتماعية -أو بالأحرى مشكلة اجتماعية يسعى الجميع إلى حلها درءها، أي المساعدة في استعادة القاعدة، أي للعودة إلى وضع الاتصال، و مواجهة الإمبريالية التقنية، حيث يتيح لنا مفهوم اللاتواصل الحديث عن حلم "القرية العالمية"، اين يمكن للجميع بفضل الوجود الشامل للتكنولوجيا أن يفهموا بعضهم البعض. " لكن أيديولوجيات الاتصال الحالية و منذ سنين تمنعنا من توضيح حالة اللاتواصل. عبر لتسويق الأوهام والمخاوف غير العقلانية على حساب نشر المعرفة من أيام الدعاية النازية الى يومنا هذا .،

يبدو إذن أنّ إفراط الاتصال هو ما يهدّد الإنساني لأنه يهدّد التنوع والاختلاف المحفّز والمولّد للإبداع المحرز للتقدم. و بالتالي فإن عدم تقبل الاختلاف يجعلنا نعتقد أن ما هو عادي بالنسبة إلينا هو كذلك بالنسبة لكلّ الناس، وأن معاييرنا الثقافية هي معايير كونية، وأن ما هو عادي بالنسبة إلينا هو أيضا طبيعيا.

والنتيجة ان المنظور المتفائل للعديد من رواد الإنترنت الذي صاحب التطور المذهل لشبكات النقل الإلكترونية وسرعتها، حول دخول عصر ذهبي لثقافة الاتصال قوامه غياب للحدود في التبادلات الذي ينبغي أن يحل معظم الصعوبات الاجتماعية الناتجة عن الجهل أو عدم معرفة الآخرين، وأن الاتصالات التقنية ستنتج حيثما كانت غالبًا ما يفشل التواصل البشري ، (Lepastier, S. , 2013 p12). « لم تؤدي الى المزيد من الفهم .

هذا التحليل يبرز تداخل ظاهرة التواصل مع ماهو ثقافي ، الامر الذي يتطلب ضرورة فهم البنيات الثقافية كشرط للولوج الى أسباب وأشكال اللاتواصل التي تغزو أي مجتمع والعكس صحيح ، وان كان تحليل العلاقات الاجتماعية في الحياة اليومية قد قاد الباحثين الى اكتشاف أسباب سوء الفهم من جهة ، و استبعاد الفهم كشرط مثالي لتحقيق الاتصال ، وتحوله الى استثناء وليس قاعدة في ظل تعقيداته بل و استحالاته ، ناتي الى تحديد تجليات اللاتواصل في العالم العربي ، ومحاولة فهم مسبباتها استنادا الى بنية العقل العربي .

ثانيا: محددات بنية العقل العربي: الثابت والمتحول

لا يمكن استيعاب ومناقشة وفهم مسألة الاتواصل في علاقتها ببنية العقل العربي دون فهم موضوعي لطبيعة بنية هذا الأخير ، والظروف التاريخية التي أنتجتته، حيث سهتم تحديدا بتلك المرتبطة بهيمنة التدين والاستعمار، كمؤشرين أساسيين حاسي الدلالة ولهما خصوصية مانعة لكل تشابه مع باقي أقطار العالم على تشعباتها الإثنية والأيدولوجية.

فالظاهرة الاستعمارية مثلما يطرح مالك بن نبي⁴ كان للعالم العربي منها الحظ الوافر انتقلت تمظهراتها من الاستعمار العسكري المباشر الى استعمار ثقافي واقتصادي غير مباشر يتخذ شكل العنف المباشر أحيانا في عديد الدول العربية على غرار ما حدث في اليمن وفلسطين والعراق تحت غطاء الشرعية الدولية .

وغير بعيد عن ميدان الأنثروبولوجيا كافد هام في الدراسة الإستيمولوجية للاتصال ، تمكنا هذه الأخيرة من فهم أفضل للتعقيدات ظاهرة الاتواصل l'incommunication ، ، ومناطق هذا الفهم أن الاستعمار له من الأساس دور في تكوين البنية المتأزمة للعقل العربي ، بعد أن كان قد تغذى على تأزمها أصلا باستعمار البلاد العربية، وسعى بعد الاستقلال عبر أساليب الصراع السياسي بالاختصاص لاستقرار هذه البنية وتفادي أي إمكانية للتغيير، وذلك من منطلق معرفة دقيقة بالبنية العربية، معرفة تسوغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعي في البلاد العربية حسب مختلف مستوياته وطبقاته .

حيث يسنده في ذلك حسن تموقعه داخل تفكير النخب ومؤسسات التنشئة الاجتماعية وصولا الى وسائط الاتصال الحديثة التي يتحكم بها عبر مايسمى بالاستعمار الفكري ، فلا غرابة إذن إن كان الاستعمار يندمج مع تعقيدات العملية الفكرية و التواصلية ذات الصبغة العربية، فهو بالتالي في حكم الوحدة المتمفصلة في وحدات نظام

⁴. استطاع مالك بن نبي ان يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلف، فألف سلسلة كتب تحت عنوان " مشكلات

الحضارة"، من بينها: بين الرشاد والتهيه 1972. ، تأملات 1961، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين 1972.. شروط النهضة 1948. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة 1959. المسلم في عالم الاقتصاد 1972. ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970 وغيرها الكثير.

اشتغال العقل العربي، يسانده في ذلك تغييب الحريات وسيادة الانظمة السلطوية والكبت والفساد في ربوع أرجاء العالم العربي ، مثلما يوثقه التقرير الصادر عن الأمم المتحدة واللاسكوا حول الحوكمة في الدول العربية في 2022.⁵

وثاني تلك المؤشرات التي تساعدنا في تفكيك بنية العقل العربي هو التدين الذي لا طالما كان مناط الاتصال والعلاقات الاجتماعية ككل ، وان كانا لا نملك أن نجزم - ونحن نسترشد بالمستوى اللغوي لمصطلح التدين الذي لا يمنحنا الشرعية الاصطلاحية - بأن في المصطلح تقييدا لحرية الإنسان، بل يؤول الأمر في تقديرنا إلى المستوى المؤسساتي والبنائي، بمعنى الماكرو اجتماعي الذي طالما قابل المستوى الفردي أو الشخصي على أدق توصيف، وهي في النهاية ثنائية الفاعل/النظام التي اخذت من السوسيولوجيا مبلغ اهتمامها.

لقد كانت العلاقات الاجتماعية او الاتصال مناط الظاهرة الدينية على مر العصور، ما يجعلها مفتاح حل وفك ما قد يتكاثف من غموض حول جدوى تواجد القهر في الحيز الدلالي لمفردة الاتصال communication . في السياق العلم العالم العربي، فهي تعبير عن الكلي المسؤول عن عمليات التكيف والأقلمة التي يصح معها انتساب الجزئي- الاتصال- ، للكلي-التدين -، وعلى هذا وغيره من العوامل التي تتعاضد في سياقه تهض الحضارة وتقام الدول.

إلا أن هذه السيورة تعاني من اضطراب ملحوظ في الحالة العربية، وبالتحديد في مجال انشغالنا الذي هو ظاهرة اللاتواصل l'incommunication ، حيث ينحسر المد الديني ضمن تمظهر فسيفسائي يربك إلى حد بعيد مقتضى العلاقة بين الجزئي(الإتصال) والكلي(الدين الاجتماعي) ، لكن المفارقة هنا أن حالة الإرباك التي نتحدث عنها والتي شكلت بمقتضى ظروف تاريخية معينة رسمت بنية العقل العربي في علاقته بالدين الاسلامي

⁵التقرير الرابع حول الحوكمة في الدول العربية الصادر عن الأمم المتحدة واللاسكوا بيروت في 2022 على

الموقع الالكتروني <https://www.unescwa.org/ar/publications>

تلك المفارقة التي قوامها من جهة حقيقة كون الدين الإسلامي دين اجتماعي وليس له اتجاه كهنوتي مثلما حدث لباقي الأديان ، الا انه على مستوى الواقع تشكل عقل عربي إسلامي متشبع يخلفيات وغيبيات ورواسب فرضها وكرسها العقل اللاهوتي الموروث منذ مئات السنين ، ولا يزال يهيمن على الثقافة العربية والإسلامية على السواء (عدي الهواري ، 2011 ، ص 10).

ينعكس هذا العقل اللاهوتي في خلع القداسة على الحقيقة المطلقة و تحويل الفكر السياسي الى ايمان ، والقواعد السياسية الى قواعد ايمانية ليسهل التحكم في القطيع الذي يريد ان يفكر في مكانه، كما انه عقل متعلق بالغيب والغيبيات والخرافات والاساطير، عوض العودة الى العقل والنقد لحل مشاكله ومواجهتها ، الأمر الذي جعله يتصف بالانغلاق والماضوية والدغمائية⁶ ومازاد الطينة بلة إضافة الى ماسبق جنوح العقل العربي حديثا في تعامله مع النص الديني الى التطبيق الشعائري له، فنراه يقبل على العبادة كمألا كيفاً، شكلاً لا مضموناً، أداء لا أسلوب حياة.

ثالثا : الاتواصل وهيمنة النسق التقليدي في المجتمعات العربية

انطلاقا من القراءة التي قدمها الباحث الالماني يورغان هابرماس لطبيعة الفعل التواصل و غايته التي تميزه عن غيره من الأفعال ، حيث لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير في الغير، بل في كيفية التوصل الى تفاهم معه و توافق متبادل دونما اكراه او قسر كيفما كان نوعهما. وشتان ببين الاتفاق الذي هو سليل التفاهم، و التأثير الذي هو سليل الاكراه و الضغط، يتسم فيه الفعل التواصل بالهيمنة.

في هذا الاطار يطرح مفهوم التفاهم المشترك كغاية قصوى للتواصل لدى هابرماس إشكالية شروط توفره .بين الاطراف المتحاوره . اهمها عدم تأثير طرف على الآخر، لان ذلك لو حصل يؤدي حتما الى فشل التواصل يقول هابرماس ، وهو بهذا الطرح يفترض ان

⁶ يحدد الباحث الامري ملتون روكيش العقلية الدوغمائية في ثلاث نقاط، أولها أنها تشكيلة معرفية مغلقة من القنوات/ واللاقناعات الخاصة بالواقع؛ والنقطة الثانية هي: أنها تتمحور حول لعبة مركزية من "الإيمانات اليقينية"، ذات الأهمية المطلقة؛ والنقطة الثالثة: أنها تولّد سلسلة من أشكال التسامح والالتسامح تجاه الآخر. انظر محمد اركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح ، مركز الانماء القومي والمركز الثقافي العربي ، مصر 1996

الفعل التواصلي يهدده خطران يتمثل اولهما في فشل التفاهم المتبادل و سوء الفهم؛ بينما يتمثل الثاني في فشل مشروع الفعل و الاخفاق التام. فتتحية الخطر الاول شرط لابد منه لتلافي الثاني.

هكذا يمكن القول وبغض النظر عن اختلاف الطرح الذي قدمه هابرماس حول كون الاجماع غاية من الفعل التواصلي يصل اليها بعد تحقيق الإجماع او الاتفاق ، و دحض الباحث ليوتار J.F Lyotard لهذا المفهوم الذي حسبه لايمت بصلة الى واقع مابعد الحداثة ، الذي تجاوز الخطاب الفلسفي لفكر الانوار ، كون جوهر الابداع و التطور اليوم هو الاختلاف والنزاع و ليس الاجماع (جون فرنسو ليوتار ، 2016 ، ص 75) وباستدعاء مستويات للاتواصل التي تحدث عنها دومنيك وولتون بين l'incommunication و la non communication و l'acomunication. يبدو من المشروعية العلمية التساؤل عن مظاهر القهر والهيمنة والاهراقات التي تكتسي فعل التواصل في العالم العربي ؟ وهل هناك اتفاق او اجماع ولو ظرفي بين الفرقاء ؟ كون الانسان لا يمكن ان لا يتواصل على حد تعبير باولو التو، وان رفض الاتصال هو في ذاته مظهر للتواصل على حد تعبير دمينك وولتون ؟

يبدوا من العقيم اليوم المبادرة في التفكير في الاتصال ،في المجتمعات العربية وهي تعيش كما لا يخفى على احد داخل اسوار حصينة من منظومة الأفكار، والمعتقدات الجامدة، بين الممنوع والمستحيل التفكير فيه ، وأوهام امتلاك الحقيقة المطلقة والوحيدة ، الوصراع الدموي حول الايديولوجيات بأنواعها ديني أم فلسفي أم أيديولوجي ؛ فالعقل العربي انتقل من تقديس دوغما الى أخرى، أي من تقديس النظام والمعتقدات والأفكار القديمة، إلى تقديس منظومات فكرية وعقائدية أخرى، متباينة ومتصارعة فيما بينها، تمتد الى العشيرة القبيلة الشيخ ، الامام الخ ، اين يدعي كل طرف فيها امتلاك الحقيقة المطلقة، والوحيدة ورفض كل ماسواها ، وأن كل من يخالفه الرأي، فهو إما خائن وإما كافر وإما متآمر.. إلخ،

يطارح الانثروبولوجي المغربي عبد الله الحمودي إشكالية الاتواصل من منظور النسق الثقافي للسلطة في العالم العربي (عبد الله حمودي ، 2010 ، ص 32) عبر تحليله المعمق للعلاقة القائمة بين الشيخ والمريد من الزاوية الأنثروبولوجية والنفسية، ان إنتاج نسق

الشيخ والمريد يؤسس لبنية سياسية تؤثت في العمق للممارسة السياسية وتجلياتها في كل البلاد العربية، عبر حصر سلطة اتخاذ القرار في مجموعة صغيرة من الرجال، يبرز واحد فقط على الساحة العمومية.

وبلغة إنثروبولوجية سياسية إننا أمام سلطة الواحد أي الشيخ. موضحا كيف تترسخ تبعية المريد للشيخ في اللاوعي بالذات العربية، خاصة أن الشيخ يرمز إلى نمط المثالي العاطفي الروحاني، معتبرا أن تشبث التسلطية العربية بنسق الشيخ والمريد راجع إلى رغبتها في الهروب من النظرة الموضوعية تجاه التاريخ، وخوف النخب العربية الحاكمة من تجاوز التصور التقليدي تجاه الدولة نظرا لأن هذه الأخيرة تشكل ميدانا لتربية النوع الإنساني وترسيخ ثقافة الحرية والديمقراطية وأصول مجتمع مدني يراقب شطط السلطة والاستبداد.

في هذا الاطار يلعب مايسمى بالنسق الاجتماعي التقليدي⁷ دورا جوهريا في إعادة انتاج التسلطية العربية والانغلاق على الذات ورفض التواصل مع الآخر ، عبر مايسمى "الجهل المقدس" الذي حدد تجلياته (أوليفيه روا ، 2012 ، ص 80) لكاتب الفرنسي، أوليفيه روا، في ما نشهده من غسيل للأدمغة، عبر تمرير الخطاب الديني مباشرة من دون توسط المعرفة والثقافة. وفي رغبة المرء الوصول إلى الحقائق الدينية، من دون تعمق وإعمال للعقل والوقوف على ظواهر الأشياء. كما بلغ هذا المفهوم مداه، بتحوله إلى شك وارتباب في المعرفة الدينية، وهذا شك لاعلاقة له بالشك المنهجي المرتبط بالتفكير العقلاني، إذ أصبح كل من هب ودب يحلل ويحرم وفق هواه، ولعل الحاضنة الفكرية

⁷الفرد العربي اليوم اسير مايسمى بالنسق الاجتماعي التقليدي المغلق والمترايط في اطار من التضامن الالي او الميكانيكي ، القائم على روابط الدم بالأساس كاساس يحدد النظام ككل ، حيث ينشأ فيه الفرد العربي ويفكر فيه ويشكل وعيه اتجاه ذاته وعالمه عبره وفيه ، مايجعله حبيس داخله واسيرا له ولذاته ، كما يتم عبره إعادة انتاج التسلطية العربية ، وتكريس الابوية والطابوهات واليقينيات واحادية الفكر ومحاربة الاجتهاد، و التقوقع على الذات في طرح القضايا الملحة، وإنتاج الفشل المتمثل في عجز الافراد على التحكم في ظروف حياتكم وتوجيه مستقبلهم تبعا لمتطلبات واقعهم ، انظر: جلال شرقي، الفكر العربي وسوسيولوجيا الفشل، مؤسسة هنداوي ، انجلترا ، 2017



/الاجتماعية الكبيرة التي يحظى بها الإرهاب خير دليل على ذلك. هذا النسق الذي يتم إعادة انتاجه عبرالنظام التربوي العقيم في المدارس والجامعات العربية الذي ساهمت مناهجه وبرامجه في تغييب العقل وإنتاج منظومة قيم هدامة كالتطرف والتعصب والانحراف، مشكلة منظومة مؤسسة من الافكار والممارسات والدغمائيات والاهام واليقينيات التي يسميها محمد اركون بالجهل المؤسس ، والذي يتم إعادة انتاجه اجتماعيا عبر الدورة غير طبيعية التي يكرسها ذات النظام التعليمي لصناعة نفس الأجيال دون تجديد في ذلك، كأهم الوسائل والآليات التي تستخدمها اليوم الطبقة المهيمنة لخدمة مصالحها وتعزيز التفاوت الاجتماعي بدل من تحقيق المساواة في المجتمع على رأي بيار بوديو(حسن احجيج ، 2017 ، ص 110) ،

ما زاد من تعميق مأساتنا، فلم نتمكن من مواجهة مشكلاتنا الداخلية، ولا من مواجهة التحديات الخارجية التي فرضت علينا طوقاً من الحصار المعرفي، وذهبت كل محاولات الإصلاح في التعليم أدراج الرياح، فكيف يمكن لمجتمع ما أن يطور تواصله في ظل رفض النخب العارفة ، وما تطرحه لمواكبة الحداثة و الانكفاء والانغلاق على الذات وفق شيزوفرينيا مفصوحة، مفادها التطلع للحداثة ورفض من وما يكتب حولها في أن واحد؟. وفي ظل تشويه قيم الإسلام النبيلة، وتصدير الفكر المنحرف والإضرار بعقيدة الأمة، لدرجة بات فيها اغلب المجتمع فريسة الجهل المقدس والجهل المؤسس، ما ينذر باستمرار تنامي روح الكراهية بين أفراد المجتمع واتساع مخاطر التشرذم والانقسام.

فتغييب الحريات والحقوق ، وتقييد قنوات الوساطة و النقاش والحوار المختلفة على رأسها وسائل الاعلام والاتصال أدى الى سيادة العنف بكل أشكاله كسبيل وحيدة لحسم الخلاف. والمشاكل والصراعات في المجتمع قي وقت نجحت فيه الديمقراطيات المتقدمة في إدخالها الى رجم المؤسسات الرسمية ، فرغم وجود الأرضية المشتركة التي هي الدين واللغة والتاريخ المشترك رقعة المشترك (رابطة الدم والقربة والدين والتاريخ المشترك ، لكن يبدوا ان هذه الأخيرة لم تعد كافية لايجاد الكلمات التي تبني الجسور ، فالغالب اليوم في الواقع هو انتشار التطرف والتعصب للأفكار، و رفض الآخر، وعدم الرغبة في الاستماع والحوار معه،

إنها أعراض وتجليات مايسميه دومنيك ولتون بالاتواصل *l'incommunication* في العالم العربي ، فحتى عند ابداء الرغبة في التواصل فان لغة الحوار غائبة ، وسوء الفهم هو السائد في كل أنواع العلاقات والروابط الاجتماعية وعلى كل المستويات الرسمية وغير الرسمية ، سواء داخل الأحزاب السياسية او بين الحكومات والشعوب وداخل كل مؤسسات المجتمعات العربية المحلية والإقليمية ، بل حتى في وسائل الاعلام الرسمية وشبكات التواصل الاجتماعي.

في ظل صعوبة التواصل بين اطراف الصراع ، واتساع المسافة بين الأطراف المختلفة الاتصال ، وبالتالي اختفاء الارضية الإنسانية المشتركة ، والروابط والمراجع المشتركة- اللغة والدين والعادات والتقاليد - ، نكون امام مايسميه دومنيك ولتون بـ *L'acomunication* ، ما يجعل من الصعب ايجاد الكلمات التي تبني الحسور لتحل محلها جدران الصمت والفوضى وسوء الفهم ، الى درجة اندلاع الصراعات المسلحة وسيادة علاقات القوة. رفض الآخر، مع الرغبة إما في السيطرة عليه أو إنكاره.

ولا ادل على هذه الممارسات مايطبع الفعل السياسي في العالم العربي من صراعات على الربيع ، ورفض قبول فكرة اختلاف المصالح على غرار الايدلوجيا الوطنية للحزب الواحد في الجزائر بعد الاستقلال التي كانت احد العوائق لتشكل فضاء عمومي وبالتالي بناء دولة عصرية قائمة على القانون (ADDI LHAOUARI 1999p 12) والتي تحولت مع الوقت الى رفض صريح للآخر ، ورغبة في السيطرة عليه وانكار حقه في الوجود ، على غرار ما تفعله السعودية في اليمن ، ومصر في ليبيا الح ،

رابعاً: الإخلال بالمشترك العقلي والوجداني الإنساني من حقوق الانسان ورهان الغيرية في العالم العربي

صحيح ان كل الديانات تؤكد على الغيرية ومنها الدين الإسلامي فالاية 13 من سورة الحجرات تقول **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** - توجي إلى أهمية التعارف اي الانفتاح على ثقافة الآخر مهما كان جنسه ولونه وعرقه أي على الإنسانية جمعاء ، مع ذلك نلاحظ في

الواقع العربي اليوم العكس حيث تطغى المصالح في العلاقة مع الآخر ، وتظهر مسألة هيمنة السلطة في العلاقة معه ،

وإذا ما حللنا طبيعة علاقتنا بهذا الآخر ، فأنا مضطرين أولاً إلى تعريفه على كل مستويات العلاقات الممكنة معه ، من خلال وسائل متعددة ، من أجل التواصل معه وتبادل المعلومات والمنافع. كهدف أساسي خلقت البشرية من أجله. فالفعل التواصل الفردي أو الجماعي والذاتي يكتسب قيمته من كونه تبادل وتفاعل وتواصل إيجابي بين أفراد المجتمع ، سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو الدولي ، أين يتحول إلى فعل شمولي يغرس المعرفة في العقول والأخلاق، و في السلوك وحرية الإرادة في التدبير السياسي والاجتماعي، كشرط أساسي للتعايش مع الآخر، على الرغم من الاختلاف في اللون واللغة والجنس والدين والمذهب، والتفاهم بين الشعوب بعيداً عن الحرب والعنف.

فالاتصال مثلما يؤكد الفيلسوف الأمريكي و الباحث في علم النفس GEORG HERBERT MEAD كأساس أي تجمع إنساني يقتضي المشاركة مع الآخر، الأمر الذي يتطلب بان يظهر الآخر في الانا، وان يتمثل الأنا في الآخر وان نصبح واعين بالأننا بفضل الآخر، (Daniel Cefai et Louis Quéré, 2006, 428 p.)

في إطار تقديم تعريف للغيرية وأشكالها وشخصياتها ، تقول الباحثة دينيس جودليت في عام 2005 في مقالها ان : "تجسيد التنوع الإنساني في الآخر المتعدد " يبدو انها من خلال هذه العبارة تصف الآخر بصفات مختلفة، وفي شروط وفي أحوال ومن وجهات نظر متعددة. عبر طرح جملة من الأسئلة حول هذا الموضوع التي هي أيضاً متنوعة: من هو الغير ، فرد أم مجموعة؟ كيف ولماذا يعمل هذا الإدراك، تعريفه، بناءه، تمثيله؟ ما هي العلاقات المنشأة مع الآخر، بأية أشكال عملية ورمزية؟، حسب أي دوافع وغايات؟ على أساس أي مواقف اجتماعية نسبية، وما إلى ذلك؟» (Denise Jodelet, 2005, pp. 23- 47).

بعد أن افترضنا التنوع - وبالتالي وجود الآخر المختلف - باعتباره جوهرًا واحدًا لوجود المجتمع البشري، تقترح جودليت المعيار الأول للتعامل مع مسألة الآخر من خلال توصيفين لشخصية الآخر. "من ناحية"، الآخر "من الخارج" والتي تتعلق بالدول والشعوب والمجموعات الموجودة في مكان ما و/أو مكان ما ، والتي تم تحديد طابعها "البعيد" وحتى

"الغريب" فيما يتعلق بها من معايير خاصة بثقافة معينة، تتوافق مع الخصوصية الوطنية أو المجتمع أو في مرحلة التطور الاجتماعي والتكنولوجي. ومن ناحية أخرى، "الأخر من الداخل"، في إشارة إلى أولئك الذين تم وضع علامة عليهم بوسم الاختلاف سواء كان جسدياً أو جسدياً (اللون، العرق، الإعاقة، الجنس، إلخ)، أو حسب سجل الأخلاق (أسلوب الحياة، شكل الحياة الجنسية) أو مرتبط بالانتماء الجماعي (وطني، عرقي، مجتمعي، ديني، إلخ). يمكن التمييز داخل نفس المجموعة الاجتماعية أو الثقافية الذي يمكن ان يكون مصدرا للانزعاج أو التهديد.

انطلاقاً مما سبق ياترى ماهي علاقة العربي المسلم بكل هذه الأشكال من الآخر ؟؟؟
المؤكد ان الإجابات على هذا السؤال متشعبة وصعبة التنبيط ، لكن مع ذلك يمكن مناقشة بعض الملاحظات الامريكية او تلك التي يطرح بها بعض الباحثون مع محاولة سيقنتها في عالمنا العربي ، على غرار افتراض أجد أشهر الباحثين في الدراسات الثقافية الباحث الجمايكي البريطاني الجنسية ستيوارت هيل بان للاتواصل مع الغير هو نتيجة عدم معرفتنا للآخر ، بكل ما يحمله ذلك جهل من عدم معرفة مدونته ، فجعلنا بالآخر يعكسه معاني الفعل الاجتماعي او سلوك الفرد والمجتمعات العربية، والتي يغلب عليها رفض الآخر والتعارف والتواصل معه ، وغياب الغيرة وغيرها من مظاهر للاتواصل، والتي يعزوها بعض الباحثون الى تأثير ما يسوق له عنه من الخطاب الديني والسياسي والإعلامي عن الآخر من انه يريد الهيمنة عليه ، وتغيير فهمه وسلبه عقيدته وتاريخه واخلاقه وخصوصية، الى غير ذلك من صور العداء التي يغيب عنها كل ماهو مشترك إنسانيا .

في هذا الاطار يدعونا الباحث الفرنسي ادغار موران(لفهم الآخر كغاية للاتصال الإنساني ، بالبداية بفهم الذات التي هي اول حاجز لفهم الآخر ، والذي ينتج من حالة اللافهم التي تنبع من ذاتنا ، ومن اجل الوصول الى حالة ألفهم هذه من الضروري الاعتراف ببنيات التفكير التي تحكمنا وتحكم الآخرين ، لهذا يولي أهمية معتبرة لمسالة الفهم في عملية التواصل ، ويعتبر أن الفهم للإنساني القائم على الذاتية البينية –البينذاتية-، يتطلب الانفتاح على الآخر ، والمشاركة الوجدانية والتعاطف ، وسواء تم هذا الفهم عن

بعد أو عن قرب فانه يرى في الآخر مثيل للذات ومختلفا عنها في ان واحد ،فهو مثيل بإنسانيته ومختلف عنها بتمايزه الشخصي (ارجاء بلهول ، ، 2019 ص 58).

انطلاقا مما سبق ينبغي فهم "إنسانية الإنسان"، في إطار ما يصفه إدغار موران بالوحدة المزدوجة للإنسان (بيولوجية وثقافية)، هذه التركيبة التي تمنحه أصالته وتميزه ،فهو كائن حي متفوق طور قدراته على الحياة بطريقة مذهلة ،لذلك فإن التربية على فهم الشرط الانساني من الأدوات الابستمولوجية والمنهجية التي تجعلنا نتعرف على كيفية تشكل الوجود الإنساني ، في إطار ما يعرف بثلاثية:الفرد،النوع،المجتمع، والذي نحن في اشد الحاجة إليها بالأخص في عالمنا العربي لمعالجة الجهل بالآخر ، وبالتحديد جهلنا بالإنسان ذاته.

فالعقل العربي بتركيبته المنغلقة على الذات والرافضة للآخر ،من غير توسعة الرؤية وفهم السياق، نجده يُخل بفضائل التعايش السلمي والاتواصل الإنساني وبالقيم التي ناضلت لأجلها الإنسانية كثيرا: فهو يشرع للعنف بينما قوام الاتصال السلمي هو العقل، وهو ينتصر للانتماء القبلي والجهوي والعشائري بينما تقوم الإنسانية على التكامل بين الانتماء الإنساني والالتزام الاخلاقي، وهو يخرج من دائرة الإنسانية المتضامنة عندما يرفض فضاء المشترك الإنساني، وتكون النتيجة هي اللاتواصل وبداية العنف والانتماء والخصوصية الضيقة.

والسؤال المطروح في هذا السياق بإلحاح منذ بداية ضعف الحضارة الإسلامية هو كيف السبيل الى الدخول الى العالمية التي ليست المصير المحدد للغرب فقط ؟ فالروح الانتقادية للدين الإسلامي مدعوة لتصبح الخير العام للبشرية، لانه وعلى الرغم من ارتباط الاتصال بالسيّاقات الثقافية والاجتماعية الخاصة بالمجتمعات ، فإنّ فيها المشترك العقلي والوجداني الذي هو خيط الربط بين العقول، ومنبر التواصل أيضًا، وما استدعاء حضارة السمو والنبل والتعالى على الآخر، الا سوء فهم وعى في الفهم ، لانه من المفروض أن تكون الإنسانية هي المشترك .

من ناحية أخرى ياترى لماذا لا يفهم الناس بعضهم البعض رغم وجود الكثير مما هو مشترك بين البشر خاصة في عالمنا العربي ؟ الجواب في اكتشاف قوة الآخر، والتفكير في

التنوع الثقافي والمشروع السياسي من خلال مفهوم التعايش الثقافي، إنها الطريقة الأمثل لإدارة التواصل، لاننا نسعى جميعًا إلى التواصل وفي أحسن الأحوال نسعى إلى التعايش، وبالتالي ان كنا نتعايش فذلك بسبب اللاتواصل الذي هو أفق الاتصال، لذلك يفترض ان يكون التعايش الثقافي هو أفضل ما يمكن للبشر القيام به باعتباره الاعتراف بإمكان التواصل.

ان عدم فهمنا لبعضنا البعض يتطلب جهدا كبيرا للحد من النقص في الفهم. وباعتباره ليس اتصال متعدد التقنية فان ما يضمن الفهم أوالتعايش هو الإرادة السياسية أو التسامح مع بعضنا البعض رغم اختلافاتنا. ولهذا السبب، يعتقد دومنيك وولتون ان التواصل هي السياسة بالمعنى الأفضل للكلمة، وهذا يعني الرغبة في التفاوض على خلفية الآخر. فان كان سوء الفهم يمكن أن يؤدي إلى إن رفض الآخر، أو الانسحاب إلى الهوية أو الحرب، بالمقابل يمكن ان يؤدي أيضا إلى بدء مفاوضات تهدف ليس إلى اتفاق مطلق، وإنما إلى تعايش مسبب (Dominique Wolton, 2009, 147 p)

خاتمة:

يعد موضوع اللاتواصل l'incommunication من الموضوعات غير المفكر فيها ، كما انه محل تجاذبات للكثير من التخصصات مايستلزم تفكيراً مركباً ، لان داخل التواصل هناك لاتواصل و العكس صحيح ، يعتقد الكثيرون انه بتجسيد التواصل فانه سوف تزول كهوف اللاتواصل بيد ان العملية اعقد من ذلك ، لان اللاتواصل تحكمه محددات انثروبوية ثقافية وسياسة واقتصادية وتحكمه علاقة الهيمنة والياتها على حد تعبير بيار بورديو ، ففي كل علاقة ثمة مهين ومهيمن عليه.

وفي سياق الوطن العربي فان نعتنا بأننا مجتمعات اللاتواصل مردده ثقافتها الدينية، و بنيتنا الاجتماعية المغلقة والتقليدية والتي تسكن بنية العقل العربي أيضا ،هذه الرؤية التي تناولتها عديد الانثروبولوجيين الغربيين والعرب الذين عملوا على مجتمعاتنا على غرار الباحث الامريكي غلفتر وغلنير وعبد الله الحمودي وغيرهم .

في حين ان اللاتواصل أحيانا في علاقتنا مع الآخر أي الغرب تأخذ معنى او طابع التوجس والخوف والرفض لعدم معرفة غايات الآخر ، طالما همهم تكريس الاستعمار بأشكاله الجديدة الليبرالية ويمكن في هذا الصدد استحضار تسويق مفهوم المقاومة

تحت مسمى إرهاب ؟ و ان المجتمعات العربية لا ينتج الا الارهابيين ، وهنا نتساءل هل يمكن الفلسطيني الذي تتراوح قضيته مكانها منذ اتفاقيات أوسلو في 2014 والحرب الأولى في 2017 وصولا الى حصاره في حرب غزة في 2024 في حالة لاتواصل ام انه يبحث فقط عن معنى للعالم الذي يتواجد فيه ؟ فلماذا يصور على انه إرهابي متخلف في حين انه يبحث فقط عن اثبات وجوده انها بعض القضايا من الكثير التي تنم على ان لاتواصل صار بطريقة غير مباشرة يتخذ شكل المقاومة إزاء مايطرح من قضايا بين الغرب والعالم الإسلامي.

- المصادر والمراجع:

- بوجمعة رضوان، 2004 ، ابستمولوجيا علوم الاتصال: أزمة فهم بنية الاتصال في المجتمع الجزائري ، الجزائر ، المجلة الجزائرية للاتصال المجلد 9، العدد 18
- اركون محمد، 1996، الفكر الإسلامي قراءة علمية ،ترجمة هاشم صالح ،مصر، مركز الانماء القومي والمركز الثقافي العربي،
- لهواري عدي، 2011، أزمة الأنظمة السلطوية العربية ، الدوحة ، قطر ، مركز الجزيرة للدراسات .
- جون فرنسوا ليوتار ،2016، في معنى مابعد الحداثة ، ترجمة سعيد لبيب ، المغرب ، المركز الثقافي
- عبدالله حمودي ، الشيخ والمريد ، 2010، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية ، المغرب ، دار توبقال للنشر .
- جلال شرقي، 2017، الفكر العربي وسوسيولوجيا الفشل، إنجلترا مؤسسة هنداي .
- اوليفيه روا ، 2012، الجهل المقدس ترجمة صالح الأشقر، بيروت لبنان ، دار الساقى
- احسن احجيج ، 2017 ، نظرية العالم الاجتماعي : قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيار بوردو ، مؤسسة مؤمنون بلاحدود ،المغرب ، 2017
- ادغار موران ،2016، تعليم الحياة ،بيان لتغيير التربية ترجمة الطاهر بن يحيى ،بيروت ، منشورات الضفاف ،

- رجاء بلهول ، 2019 ، انطولوجيا العقل ومشكلة البينذاتية تونس المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .
- لتقرير الرابع حول الحوكمة في الدول العربية الصادر عن الأمم المتحدة واللاسكو بيروت في 2022 على الموقع الالكتروني <https://www.unescwa.org/ar/publication>
- laude Lévi-Strauss ، 2002 ، race et Histoire Race et Culture, Paris, Albin Michel,
- Anne-Marie Laulan 1989. pour une critique de la communication revue Communication & Langages
- DDI LHAOUARI , Les mutations de la société algérienne”. Paris: La Découverte 1999
- hilippe Dumas. 2014 ، Incommunication en Méditerranée. Le changement entre stratégies médiatiques et pratiques communicatives citoyennes, Université d’Agadir, Maroc., halshs-
- ric Dacheux ، 2015 ، L’incommunication, sel de la communication Dans Hermès, La Revue 2015/1 (n° 71), Éditions CNRS Éditions
- arcon, Ch., Liquète, V., Mallowan, M. (2017). Introduction : l’information, la communication et les organisations au défi de l’altérité. Revue COSSI, (2). https://doi.org/10.34745/numerev_1582
- ves Gonzalez-Quijano. ، 2004 ، La survie de l’utopie arabe au temps de la communication globale. Walid El Khashab. Arabes : sortir du marasme, 66, Panoramiques , , 2-84706-036-7. halshs-
- dgar morin ، 1989 . les acteur de la communication la maison le seuil paris

•
Edgar Morin ، 2016 ، L'enjeu humain de la communication dans La Communication

•
nne-Marie Laulan ، 1989 ، pour une critique de la communication revue Communication & Langages ، paris

•
ominique Wolton ، L'incommunication : horizon de la communication Entretien avec Samuel Lepastier et Éric Letonturier, CNRS Éditions le 11 juillet 2013

•
ominique WOLTON ، *Informer n'est pas communiquer*. Paris, CNRS Éd., coll. Débats, France 2009.

•
ominique WoltonIn2014، communication et altérité Entretien dans Hermès, La Revue 2014/1 (n° 68), Éditions CNRS Éditions

•
ominique Wolton. 11 juillet 2013، L'incommunication : horizon de la communication Entretien avec Samuel et Éric Letonturier. CNRS Éditions

•
ara brander ، 2016.erving goffman's the presentation of self in everyday life .academia: <https://www.academia.edu/34361288/> (consulté le 20/07/2021)

•
arcon, Ch., Liquète, V., Mallowan, M. (2017). Introduction : l'information, la communication et les organisations au défi de l'altérité. Revue COSSI, (2). https://doi.org/10.34745/numerev_158

• Sylvie Boiton-Malherbe ، 2010 ، problematique de la communication dans le monde actuel Les enjeux de la communication dans le monde moderne:distribution ou partage ublished online by Cambridge University Press:

• Lepastier, S. (dir.) 2013, L'Incommunication, Paris, CNRS éditions, coll. «Les Essentielsd'Hermès



- HUISMAN, denis, 1985, *l'incommunication. essai sur quelques effets pléthoriques abusifs ou pervers de la communication actuelle*, paris, vrin, 1985.
- ROBERT, pascal, 2005, « de la communication à l'incommunication », *communication et langages*, n° 146, doi 10.3406/colan.2005.3372
- Baudrillard, J., 1985 *Simulacres et simulation*, Paris, Galilée,
- Claude Lévi-Strauss, 2002 *Race et Histoire Race et Culture*, Paris, Albin Michel,
- Livet, P., 2011 «Les limitations de la communication», in Dacheux, E. (dir.), *La Communication*, Paris, CNRS éditions, coll. «Les Essentiels d'Hermès
- Éric Dacheux, 2015, « L'incommunication, sel de la communication », Dans Hermès, *La Revue*, /1 (n° 71),
- George Herbert Mead, 1934, *L'Esprit, le soi et la société*, (édition originale,) traduction et introduction de Daniel Cefaï et Louis Quéré. 2006, Presses universitaires de France, coll. « Le lien social », Paris,
- Denise Jodele 2005 *Formes et figures de l'altérité.*, In M. Sanchez- Mazas, L. Licata (Eds.), *L'autre. Regards psychosociaux*. Grenoble, PUG.

